الجامعة الإسلامية بمنسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية

د. أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية

أبوبكر القاضي

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

المحاضرة الرابعة

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثم أما بعد :

إن أصدق الحديث كتاب الله،وأحسن الهدي- هدي محمد صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد :

فهذا هو "المجلس الرابع" من شرح "الفتوى الحموية" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد بلغنا إلى قوله- رحمه الله- ثم هم ها هنا فريقان أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه،

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه،وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون، ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع من على وجه الأرض فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا؛ فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم؛ فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه؛ لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

طبعاً شيخ الإسلام هنا بيستنكر احنا وقفنا عند؛ فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء، الدين الذي يعتقده المتكلمون أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله- عز وجل- وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة؛ فمن أين تطلبوا إذن؛ ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًا له كأن المتكلمون يقولوا هذا أي أنت من تحكم، وليس القرآن، ولا السنة، ولا

طريق سلف الأمة؛ فما نراه من عقولنا المضطربة المختلفة هذه ما يستحقه الله، ويليق به ومالا يستحقه الله، ومالا يليق به؛ ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الأسماء والصفات؛ فصفوه به سواءٌ كان موجودًا في الكتاب والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًا له في عقولكم فلا تصفوه به!

يا خبر! يعني العقل هو الحاكم؟!

على القرآن والسنة؟ نعم جرأة عظيمة جدا!

ثم هم ههنا فريقان، أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه التعطيل، جهمية، ومعتزلة، ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه يعني توقفوا في هذا الأمر ذاك المفوضة أمروها كما جاءت معنى وكيفا.

وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض "المتكلمين مختلفين جدا في آرائهم. فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا.

عجب ترجعوا ازاي لحاجة انتم مضطربين فيها اللي هو قياس العقول؛ فإنه الحق الذي تعبدتكم به كأن الله هو الذي يخاطبهم بذلك، وهذا ليس حقيقي؛ بل تعبدهم بالكتاب والسنة.

طيب وما فائدة إنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وكان فيه سنة، وما كان مذكورا في الكتاب والسنة ما هي فائدته؟

مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركوا عقولكم على طريقة أكثرهم؛ فاعلموا إني امتحنكم بتنزيله.

يبقى هو مجرد بس وجود امتحان؛ فنحن نأخذ ظاهر الآيات، والنصوص القرآنية والحديثية غير مراد، ولازم نأوله بصرفه عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل من القرآن، والسنة؛ بل بما تقتضيه شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو تسقط عنه.

النقطة الثانية : مفوضين علمه إلى الله كأنها حروف مقطعة معناه في دلالته على شيء من الصفات هذا حقيقة الأمر على رأي المتكلمين، و طبعاً هذا الكلام كلام كله باطل .

و شيخ الإسلام هنا كأنه يفضح المتكلمين، ويبين كيف يعرضون عن كتاب الله، وسنة رسول الله للرجوع عن هذه العقول القياسات العقلية المضطربة؛ لأن أهل علم الكلام والفلسفة، والمنطق أكثر الناس اختلافً في كل شيء لوجود ما يسمى عندهم بالسفسطة بالمناقشة في البديهيات التي عندهم صحيحة؛ ولكنهم يناقشونها يقولوا اثبت لي إنه صحيح ! الشمس طالعة اثبت لي إن الشمس طالعة !

فهؤلاء ما بين المعطلة، والمؤولة، والمفوضة، أما أهل السنة يفوضون الكيف، ولا يفوضون المعنى.

قال : وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه و مضمونه، انظر لهذا الكلام الكفر هذا؛ أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول؛ بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، هذا الكلام كلام خطير جداً ينفي حجية القرآن، والسنة في اثبات أسماء الله، وصفاته التي هي أعظم قضية ألا وهي قضية التوحيد، وإن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول،

وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون، والمجوس، وبعض الصابئين،

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع الخلاف به إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمروا أن يكفروا به.

ولا حول ولا قوة الا بالله للأسف هم يصرحون بذلك؛ أن العقائد لا تؤخذ من القرآن والسنة؛ إنما تؤخذ من علم المنطق وعلم الكلام، ولذلك يوزعون كرسالة مثل "رسالة استحسان الخوض في علم الكلام" بالحث على البحث لأبي حسن الاشعري مع إن علم الكلام لم يتكلم به الرسول- صلى الله عليه وسلم- أو صحابته رضوان الله عليهم، ثم يُقعّدون قواعد ويبنون عليها كما قعدوا أن الصفات سبعة وغيرهم قعد أنه ليس هناك صفات؛ إنما هي أسماء بلا صفات، وهم المعتزلة، ثم أوّلوا بكل أنواع التأويل من وحشي اللغة وغرابة الألفاظ، والتأويلات التي ليس عليها دليل من نصوص الكتاب والسنة؛ لأن من نصوص الكتاب عندهم ظواهرها أعوذ بالله تفيد الكفر كما قال الصاوي صاحب الحاشية على الجلالين من أصول الكفر : الأخذ بظواهر الكتاب، والسنة،

وقال غيره إن الدين هو ما قرره المتكلمون من الأشاعرة، والماتريدية، أو المعتزلة دون الكتاب والسنة؛ لأن ذلك عندهم هو أصل الكفر، وفي الحقيقة لا يرون الحاجة إلى النبوات؛ وإنما يرون إن العقول هي الحاكمة، ولا حاجة للعباد إلى الوحي.

ولذلك هم طواغيت في الحقيقة يتحاكمون إلى دون الأنبياء، وما دون ما جاءت به الأنبياء، وإلى العقول، والأهواء نسأل الله -عز وجل- العفو والعافية.

قال : ، وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا • فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} [النساء:٦٠.٦٢] .

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب، وإلى الرسول، والدعاء إليه بعد وفاته، والدعاء إلى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملاً بهذه الطريق.

كيف وأين الإحسان؟ من إعراضكم عن كتاب الله- عزّ وجلّ- في الطريقة التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

طبعا هم مش بيوافقوا، ولا حاجة هم بيقدموا الدلالة العقلية على النقلية؛ فهؤلاء يقولون أصل المسألة بقى في المعتزلة إنهم كانوا يقولون نريد أن نرد على الملاحدة والزنادقة، وننصر الإسلام

وهذا هو أصل علم الكلام حيث يستعملون الحجج الفلسفية المنطقية فيما يزعمون لاثبات المسائل الكبرى بظنهم مثل اثبات وجود الخالق وخلق العالم وبعث الأجساد، واثبات النبوات؛ فهم وبهذه الطريقة يقولون نحن نحب الأنبياء، ونقدرهم وما أشبه هذا، لكن هذا الحب والتقدير لا يقتضي لهما أن يستخدموا ما جاء به الأنبياء، والرسل في الدعوة؛ ولكنهم يستخدمون عقولهم وما أشبه هذا بما يقع من الاتجاهات العلمانية أيضاً التي تعظم عقول الغرب، وتريد التحاكم إلى عاداتهم وتقاليدهم، ومبادئهم، وقيمهم، وما يقررونه في ملتقياتهم، وأما الكتاب والسنة فللتبرك فقط.

وكأنه هؤلاء يفصلون الدين عن الحياة والحقيقة، إنهم يفصلون الكتاب والسنة عن الدين.

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل؛ إنما تقلدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين، أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عن من قال كقولهم لتشابه قلوبهم

قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥] ،

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ..} [البقرة:٢١٣]

كان الناس أمة واحدة: أي على التوحيد عشرة قرون؛ فاختلفوا، وطرأ الشرك في قوم نوح بالغلو في الصالحين؛ فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين، ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق؛ فالكتاب نزل ليحكم بين الناس، وأعظم ما يختلف فيه الناس هو الاعتقاد، والأعمال، والأخلاق، ولا يزال هذا الخلاف قائماً في كل زمان؛ فالقرآن لابد أن يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، والذي يرى إن التحاكم في العقائد إلى علم الكلام، وفي الفقه إلى التقليد الأعمى، وفي السلوك إلى ألغاز الصوفية بص بقى الكلام ده مهم جدا.

هي قضية إن في ثالوث وهذا الثالوث هو التمشهر في العقائد، والتمذهب على معتمدات المذاهب في أمر الفقه، ومعتمدات المذاهب عند المتأخرين حتى لا يقوله إمام المذهب؛ لكن معتمدات المذاهب، والتعصب لها، والثالث هو ألغاز الصوفية في السلوك.

يبقى الذي يرى إننا نتحاكم في العقائد إلى علم الكلام، وفي الفقه إلى التقليد الأعمى، وفي السلوك إلى ألغاز الصوفية، ومقاماتهم المستوردة من الفلاسفة، ووحدة الوجود؛ فأمثال هؤلاء لم يقولوا إن الله أنزل الكتاب إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- يحكم بين الناس ولو قالوا ليس بالحق؛ فقد كفروا

هؤلاء أعرضوا عن الكتاب والسنة.

قال : ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدًى للناس، ولا بيانًا ولا شفاء لما في الصدور، ولا نورًا، ولا مردًّا عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار؛ أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه [الكتاب والسنة] لا نصًا، ولا ظاهرًا؛ وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله:

{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٤]

يعني هو عندهم إن الأدلة النقلية لا ينفع الإستدلال به؛ ولكن ولكي يقولوا إنهم مؤمنين قالوا: إن هناك آيات تنفي عن الله المشابهة كقوله تعالى : { هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا} [مريم: ٦٥]

وقوله تعالى : { لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ [الشورى: ١١]

طب وهل هذا اصلاً ينفي الصفات، ولا ينفي المشابهة، والتمثيل والتكييف الباطل؟

هل هذا يؤدي بكم إلى نفي التعطيل أو التأويل؟

وبالاضطرار يعلم كل عاقل إن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله : هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة وهو إما مُلغز، وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

يبقى آيات النفي الصفات السلبية التي جاءت في القرآن في الحقيقة جاءت في سياق صفات إيجابية يعني جاءت في سياق ثبوت الكمال للصفات، وليس لنفي الصفات.

يعني "هل تعلم له سميا " إذن هو واحد أحد فرد صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

لا تأخذه سنة ولا نوم، يبقى إذن هو الحي القيوم تبارك وتعالى ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

يبقى النفي لمجرد إنه ليس مدحاً؛ وانما يكون في سياق اثبات معاني الأسماء والصفات ،ولا يستدل به أبداً على نفي الأسماء والصفات.

قال : ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وهو القياس، والعقول وعلم الكلام، والفلسفة؛ وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً، واضطراباً، وتشوشا.

يا سبحان الله!

كيف لم يقل الرسول- صلى الله عليه وسلم- يومًا من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات، والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه؛ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم،أو اعتقدوا كذا وكذا؛فإنه الحق، ولا واحد من القرون الخيرية!

ولا واحد من الأئمة!

وما خالف ظاهره؛ فلا تعتقدوا ظاهره،وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم؛ فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه على مذهب القول بالتوقف، أو النفي والتعطيل، أو التفويض

ثم الرسول- صلى الله عليه وسلم -قد أخبر أن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله» .

ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : في صفة الفرقة الناجية: «هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» .

فهلا قال من تمسك بالقرآن ،أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد؛ فهو ضال؟

يعني النبي لما لم يقل هذا ؟ لما لم يبين ؟

والله يقول : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]

قال تعالي: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

كيف لم يبين؟ قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧]

لما لم يقل النبي- صلى الله عليه وسلم- لا تأخذوا بظاهر القرآن، ولا تتمسكوا به

ولما لم يقل لا تتمسكوا بدلالات القرآن؟

وهو قال : تتمسكوا هنا ليه؟ وقال : ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا.

وروي في صفة الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي. الحديث أصلا حديث أنس، والحديث المروي هذا اللي هو افتراق الفرق هذا من حديث أنس وأبي سفيان، ومالك ابن الأشجعي، و رواه أبو داوود، والترمذي، وابن ماجة والحاكم، وقال الصحيح عن شرط مسلم، وزيادة هم الجماعة، وزيادة ما انا عليه اليوم وأصحابي في الترمذي، و حسنه طبعاً الشيخ الألباني في صحيح الترمذي وصحيح الترغيب أيضا.

نقول : فهلا قال : من تمسك بالقرآن، أو دلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات ؛فهو ضال؛ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر التابعين.

هذا كان بداية الجهمية وكلام الجعد بن درهم؛ لكن الجميع الأوائل كانوا شديدي التكذيب قولهم لم يكلم الله موسى تكليما، ولم ويتخذ إبراهيم خليلاً هذا كلام الجعد؛ ولذلك لفظتهم الأمة فجاء أذنابهم؛ فحاولوا أن يوفقوا بدلا من إن يكذبوا صراحة فيكفرهم الناس ويقتلونهم؛ فقالوا كلم الله موسى تكليما

بكلام مخلوق خلقه الله في غيره، والعياذ بالله كل هذا على نفي صفة الكلام عن الله، وبدل أن يقول لم يستوي على العرش كما قال : الأوائل قالوا : استوى بمعنى استولى!

يعني التأويل المذموم هو أصل التحريف، والتبديل

الذي وقع فيه اليهود والنصارى، وأصل الافتراق الذي وقع في هذه الأمة.

قال : ثم أصل هذه المقالة هي مقالة التعطيل للصفات؛ إنما مأخوذة عن تلاميذ اليهود، والمشركين، وضلال الصابئين؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال : هذه المقالة في الإسلام أعني إن الله- عز وجل- ليس على العرش حقيقة، وإن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد ابن درهم ،و أخذها عنه الجهم من صفوان وأظهرها؛ فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم. وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم [اليهودي] الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حرَّان وكان فيهم خلق كثير من الصابئة، وعباد النجوم والكواكب، والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود، والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم، ولعله يقصد الرازي، والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس، والمجوس، وفرعون ملك مصر والنجاشية ملك الحبشة، وبطليموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم؛ فهو اسمه جنس يعني هذا اسم جنس لقب وليس اسم علم.

كانت الصابئة إلا قليلاً منهم إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركًا؛ بل مؤمنًا بالله واليوم الآخر، هذا قبل أن يبلغه خبر الرسول منهم من يكون مؤمن وكذا اليهود، والنصارى قبل البعثة النبوية؛ لكن بعد البعثة النبوية لابد أن يتبع النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:٦٢]

هذا قبل بعثة محمد- صلى الله عليه وسلم- لكن بعد بعثته لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي، وعيسى- عليه السلام- حي ينزل في آخر الزمان يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويقتل المسيح الدجال، ويضع الجزية، ولا يقبلها، ويأتم بإمام المسلمين، ويحكم الأرض أربعين سنة بشريعة الإسلام.

فإذن بعد بعثة محمد- صلى الله عليه وسلم- من كفر به فقد كفر بجميع الرسل، وكفر بالله عز وجل.

قال: بل مؤمنًا بالله واليوم الآخر، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:٦٢]

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة:٦٩] .

قال : وكذلك الكلام عن اليهود والنصارى قبل بعثة النبي قليل منهم مؤمنون وأكثرهم كفار عبد المسيح، أو العزير، أو كذبوا المسيح من اليهود فباءوا بغضب على غضب، أما بعد بعثة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا يمكن أحد من هؤلاء أن يكون أحد من هؤلاء مؤمناً إلا أن يؤمن بالرسول محمد- صلى الله عليه وسلم.

الصابئة : غالباً هم قوم لم يعرف كتابهم لكن عندهم معرفة بما جاءت به، ويقال إنهم أتباع إبراهيم، وهذا أقرب والله أعلم، ولم يزل منهم متمسكين مستمسكين بالتوحيد إلا إن الأغلب الأعم منهم صار مشركاً يعبد النجوم.

قال : شيخ الإسلام لكن كثيرا منهم، أو أكثرهم كانوا كفاراً، أو مشركين كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا، وحرفوا، وصاروا كفارا، أو مشركين؛ فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفاراً، أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب، ويبنون لها الهياكل، ومنهم الجعد بن درهم كما ذكرنا.

يبقى اصلا مقالة التعطيل من الجعد بن درهم الذي كان في حران وحوله الصابئة ومذهب النفاة من هؤلاء اللي هم المعطلة لوجود الله واسمائه وصفاته، ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما

قلنا الصفات السلبية؛ هي صفات النفي، والصفات الإضافية كالكلام عند المعتزلة أي كلام غيره، وأضيف إليه، وليس أنه صفته وكلامه- سبحانه وتعالى- كقوله في الحديث القدسي مرضت فلم تعدني؛

فليس هذه صفة من صفاته؛ وإنما صفة من بعض خلقه أضيفت إليه؛ فهذه الصفات عندهم صفات إضافية ،أو سلبية، أو مركبة منهما أي نفي أضيف له، وهو من صفات بعض خلقه.

يبقى إذن هو في الحقيقة لا شيء عدم يبقى، ولذلك كان الإمام أحمد يقول عن المعطلة عبدوا عدماً، والمشبهة عبدوا صنماً، أما نحن فقد عبدنا واحداً أحداً فرداً صمداً.

قال : ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية، أو إضافية أو مركبة منهما، وهم الذين بعث إبراهيم الخليل إليهم؛ فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة، وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرّان، وأخذ عن فلاسفة الصابرين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضًا؛ فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات؛ فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين، والمشركين، والفلاسفة الضالين إما من الصابئين، وإما من المشركين.

أبو نصر الفارابي طبعاً: هو فيلسوف يقول بمقالة الفلاسفة وقدم العالم؛ وأنه غير مخلوق، وعدم بعث الأجساد وإنكار النبوات.

السمانية؛ أيضاً من اليهود، وهم عبدة الأوثان يقولون بقدم العالم وتناسق الأرواح .

قال : فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود، والصابئين والمشركين،والفلاسفةالضالين؛إما من الصابئين ،وإما من المشركين، ثم لَمَّا عُرّبت الكتب الرومي اليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء.

طبعاً في عهد الدولة العباسية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقوه في قلوب أشباههم، ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته .

طبقة بشر من غياث هم الذين نشروا مقالة الجهم في إن الله ليس بالسماء؛ وأنه في كل مكان؛ وأنه لا يوصف بأنه استوى على العرش؛ وأنه لا يرى، ونفي صفات الأفعال ونحو ذلك من الأباطيل هذا كان رأس من رؤوس المعتزلة.

وكلام الائمة مثل ما لك، وسفيان ابن عيينة، وابن مبارك، وابو يوسف، والشافعي، واحمد واسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي وغيرهم، في هؤلاء كثير في ذمهم وتضليلهم، وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب «التأويلات» وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس»

طبعاً كل الكلام و كل التأويلات الباطلة هذه ذكرها أبا بكر بن الفورك انتقلت من الأشاعرة إلي الجهمية والمعتزلة وبن فورك كان أشعريا رأسا في علم الكلام

اخذ عن أبي الحسن الباهري صاحب الأشعري، ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محمود ابن سبك تكيين سأله عن رسول الله فقال : كان رسول الله وأما اليوم فلا فأمر بقتله بالسم، كأنه ينكر.

وقال ابن حزم كان يقول : إن روح رسول الله قد بطلت وتلاشت وما هي في الجنة نسأل الله العفو والعافية زندقة، نعم.

الرازي هو المشهور ابن خطيب الري وهو أحد كبار الأشاعرة المؤولين وهو في الحقيقة من المناظرين على باقي المسائل مثل إن الإيمان هو المعرفة و الارجاء ونفي الحكمة والتعريف في حق الله طبعا ده الجبر، والقول بانعدام أثر المشيئة والقدرة الإنسانية في أفعال العباد كل هذا الجبر.

قال : وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس»

طبعا شيخ الاسلام ابن تيمية له رد على ذلك (وهو تأسيس التقديس بنقد التأسيس).

ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبّائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني، وأبي الحسين البصري، كل هؤلاء من رؤوس المعتزلة، وأبي الوفاء بن عقيل، ليس معتزلي؛ ولكنه حنبلي مال إلى بعض كلام المعتزلة، وعنده تأويل بعض الصفات رغم انتسابه إلى الحنابلة، وأبي حامد الغزالي

طبعاً أبو حامد من أكثر ما يشتهر عنه نصرة المذهب الأشعري، والكلام في التأويلات كان شديد التردد في حياته كلها، ومال التصوف في آخر حياته، وفي آخر أخريات حياته بدأ يطلب علم الحديث وقد مات، و صحيح البخاري على صدره .

وهؤلاء القوم في الحقيقة كانوا يدورون على علم المنطق، والكلام، والفلسفة في معظم المؤلفات وكونهم رجعوا في آخر حياتهم من الحجج على من أتى بعدهم لكن لا أحد طبعاً ينظر إلى ذلك لكن هو نصر المذهب هذا فقط ما يأخذوه منهم لكن لا ينظرون إلى توبتهم.

مثل ما هم متمسكين بما كان عليه أبو الحسن الأشعري دون ما مات عليه من عقيدة الإمام أحمد

قال : عنه أبو بكر بن العربي أي عن أبي حامد الغزالي شيخنا أبو حامد والى على الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع؛ فقال: القاضي عياض، والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة، ولا في طريقة التصوف، وتجرد نصر مذهبه، وصار داعية في ذلك وألف في تواريثه المشهورة أخذ عليه فيها مواضع

وساءت به ظنون أمه والله أعلم بسره ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل لذلك.

قال : وغيرهم، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، الأجيال دي كلها والطبقات دي كلها هي عينها تأويلات بشر المريسي، يعني في بعض الأشاعرة قد يرد التأويل إجمالاً، ويأتي عند التفصيل لا ينتبه إن هذه الأقوال ليست من كلام السلف؛ وإنما هي من كلام المعتزلة، وأهل البدع، وأحيانا يقولوا كلاما حسناً، وبعضهم يثبت بعض الصفات، ويتأول صفات أخرى .

قال : ولهم كلام حسن في أشياء؛ فإنما بيَّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي، ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صنف كتابًا سماه: «رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» حكى فيه من التأويلات

بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أعلم بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته.

ملتزم بقواعد أكثر من المتأخرين؛ لأنه متأخرين متناقدين عنه مع إنه عند السلف الكاذب العنيد، وأعلم بالمنقول، والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهة وجهة غيره، ثم رد ذلك منهما أي مقلدة فقط يعني كأنهم مقلدة بس مش فاهمين مخارج الأقوال والقواعد التي بنى عليها بشر هذه الأقوال .

قال : ثم رد عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم، وضعف حجة من خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة .أئمة الهدى .قد أجمعوا على دم المريسية وأكثرهم كفّروهم أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية ، تبَيَّن الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب؛ وإنما نشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر.

قال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ [النمل: ٦٩].

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه، مثل: كتاب «السنن» للالكائي، و «الإبانة» لابن بطة، و «السنة» لأبي ذر الهروي، و «الأصول» لأبي عمرالطلمنكي

بفضل الله كتبهم مسندة وعامتها مطبوعة بفضل الله تبارك وتعالى.

قال : وكلام أبي عمر بن عبد البر، و «الأسماء والصفات» للبيهقي، وإن كان البيهقي وافق الأشاعرة في مسائل متعددة، ومحسوب منهم إلا أنه اثبت عامة الصفات وكتابه مملوء بإثبات الصفات التي نازع فيها الأشاعرة،

وقبل ذلك «السنة» للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني،[ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهاني] ،

وقبل ذلك «السنة» للخلال، و «التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج، و «الرد على الجهمية» لجماعة، مثل البخاري وشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفري وقبل ذلك «السنة» لعبد الله بن أحمد، و «السنة» لأبي بكر بن الأثرم، و «السنة» لحنبل وللمروذي، ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، و «السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب «الرد على الجهمية» لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري، وكتاب «خلق أفعال العباد» لأبي عبد الله البخاري، وكتاب «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، وكلام ابي العباس عبد العزيز المكي صاحب «الحيدة» في الرد على الجهمية

وقد اخطأ أبو العباس عبدالعزيز المكي حيث قال : و أخبرنا إنه سميع بصير بقوله : هو السميع البصير فقلت : إنه سميع بصير كما قال ولم يخبرنا له سمعا وبصرا، فقلت : فكما قال وامسكت عند امساكي طبعا ده كلام مفوضة؛ ولكنه في الجملة موافق لكلام السلف في اثبات الصفات.

قال : وكلام نعيم بن حماد الخزاعي، وكلام الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه [ويحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم، عبد الله بن المبارك وأمثاله] وأشياء كثيرة.

طبعا كتب السنة، والإيمان في كتب الحديث الكبار مثل كتاب الإمام الصحيح مسلم كتاب القدر فيه، وكتاب السنة الرد على الجهمية في سنن أبي داود، وكتاب الإيمان والتوحيد، والقدر للإمام البخاري، وتراجم الإمام البخاري فيه من أنفع الأشياء في ذلك، ولكون هذا الكتاب ترقى بالقبول من الأمة فله المنزلة العظيمة.

قال : وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلمين لهم شبهات موجودة، لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير.

طبعا العقيدة الواسطية مجمل الاعتقاد في الأسماء والصفات في مجموع الفتاوى في المجلدات الأولى.

قال : وإذا كان أصل هذه المقالة .مقالة التعطيل والتأويل .مأخوذًا عن تلامذة المشركين، والصابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس عاقل أن يأخذ سبل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ لأنه بالقطع واليقين لم يتكلم القرآن، ولا الرسول، ولا الصحابة، ولا التابعون -رضوان الله عليهم- وصلى الله وسلم على نبيه ولا تابعوهم، ولا الأئمة بعلم الكلام، ولم يدخلوا في أبواب الاعتقاد الفلسفة وعلم المنطق، ولا دخلوها بهذه الطريقة المنطقية المؤولة

ولهذا هذه الشبهات التي سيبوها هذه الطريقة كان ردهم عليها السلف الإعراض التام، والتبديع، والتضليل لمن ابى قبول النصوص بسبب هذه الشبهات أو حرف النصوص ولذلك مجمل اعتقادنا نستقيه من كلام الله، وكلام رسوله- صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي بإذن الله- تبارك وتعالى- في المجالس القادمة

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .